لتعيد النبض إليها من جديد.. نقابة الفنانين تحتفي بأحد مؤسسيها

أسعد فضة لـ«الوطن»: وجودي في هذا المكان مهم جداً لأنه بيتي الثاني ويعني لي الكثير

نقيب الفنانين محسن غازي لـ«الوطن»: كان إطفائياً للحرائق التي يتعمدها البعض

سارة سلامة- تصوير: طارق السعدوني

سنوات مرت تجاوز عددها الـ ١٦ عاماً، على توليه منصب نقيب الفنانين في سورية على دورتين منذ عام ١٩٩٨ إلى عام ٢٠٠٦، كان فيها القدير أسعد فضة يدير العمل بطريقة لافتة أغنها بحبه وسلامه الداخلي لتكون من النقابات الرائدة على مستوى الوطن العربي. مسيرة حافلة بالإنجازات، كان قد اختاره النقيب الحالي محسن غازي ضمن خطته الاحتفاء بالرواد للإفادة من خبرته وتكريمه وبهدف تعزيز التآلف النقابة حول بعضها وتوطيد المحبة والإخاء.

وتم تكريمه في بيته الثاني بحضور مجلس النقابة المركزي وفرعي دمشق وريف دمشق.

وأدار فضة الجلسة الأسبوعية لمجلس نقابة الفنانين بصفته نقيباً فخرياً، تحدث فيها عن مسيرته على الصعيدين النقابي والفني، واطلع على آلية سير النقابة اليوم وحرصها الشديد على النهوض بالواقع الفني في سورية والاهتمام بأحوال الفنان وأسرته بعد وفاته وتقاعده ومرضه.

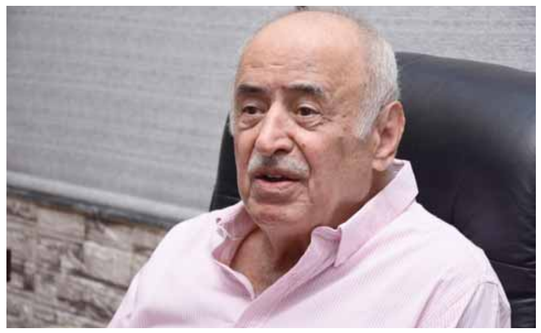

عمل لافت

وبن فضة في تصريح خاص لـ«الوطن»: «إن النقابة تعني لي الكثير هي بيتي الثاني من دون مبالغة، سعيد جداً بهذا الاحتفاء الذي عاد بي إلى سنوات ماضية ورؤية الزملاء بعد طول غياب أمر جميل؛ ومن اللافت أن النقابة تسير بعملها رغم كل المعوقات التي نمر بها».

وفيما يخص ابتعاده قليلاً عن الدراما قال فضة: «بعد هذا المشوار الفني الطويل تعبت وأرى أنه من حقي أن آخذ قسطاً من الراحة، كما أنني اعتذرت عن عدة أعمال وهي الجزء الثاني من «سوق الحرير» و«ضيوف على الحب» على مبدأ ارحموا شيخكم!!».

وعن الدراما بشكل عام قال فضة: «طالما أن الجمهور العربي لا يزال يطالب بها ولا يمكنه الاستغناء عنها وينتظرها كل موسم رمضاني فهذا خير دليل على أنها بخير حتى ولو تعرضت إلى بعض المنغصات إن كان من ناحية الركود أو قلة الإنتاج».

رائد في الإدارة

وفي تصريح مماثل أشار نقيب الفنانين محسن غازي: «إلى أهمية استقطاب الفنانين الكبار الذين أسسوا النقابة، وجعلوها رائدة على مستوى النقابات العربية. نحن اليوم مستمرون من خلال جهودهم ونبني على جهودهم، حتى لو ارتقت قوانين النقابة ونظامها الداخلي بما يتعلق بقوانين شيخوخة الفنان أو أسرة الفنان المتوفى والمتقاعدين من الفنانين، والسعي لحمايتهم حقوقه، كما أن هناك جانباً كبيراً تحقق على صعيد المهن الموسيقية، في حين كان التقصير بما يخص المهن الدرامية عبر الأزمنة».

وفي حديثه عن الأهداف وراء استقطاب الفنانين الكبار بين غازي: «هذا جوهر الاحترام الذي يجب أن نقدمه لهؤلاء لكونهم ارتقوا بالعمل النقابي إلى مستويات معينة، كل حسب مرحلته يبني فوق ما بناه وصولاً إلى هذه الحالة شبه المستقرة لنقابة الفنانين، حيث إن هناك استقراراً للحالة النقابية على مستوى النقابات العربية، لذلك كان لابد أن نخلق هذا الجو لنعيد النبض الإنساني والأخلاق للعلاقة بين أعضاء النقابة».

وتابع غازي حديثه: «عندما استقبلنا الكبير دريد لحام صرح بأنه لم يدخل النقابة منذ خمسة وعشرين عاماً، كرمنا أيضاً أمين الخياط، وزيارة الفنانين في منازلهم هذه مؤشرات إلى أننا نرغب في أن نكون أسرة واحدة في النقابة فهي بيت الجميع، ونحن موجودون على رأس العمل الإداري في النقابة لكي نكون خدماً ولسنا بأسياد».

وكشف غازي عن أن: «فضة ترأس النقابة على دورتين قدم خلالهما إنجازات، حيث كان رائداً في الإدارة، ولديه جوائب إنسانية وجوائب من النيل، والمثل والأخلاق، وتميزت فترة توليه بمناخات هادئة واستقرار والبعد عن الفوضى على صعيد التعامل بين الإدارات والأعضاء أو بين الأعضاء فيما بينهم، وإذا صح التعبير نقول إنه كان إطفائياً جيداً للحرائق التي يتعمدها البعض لأنه شخص مسالم يميل إلى الاستقرار».

وتأتي هذه المبادرة بدعوة من النقيب الحالي الفنان محسن غازي بهدف إطلاع الفنانين الرواد والمخضرمين على آليات عمل النقابة الحالية بعدما قطعت أشواطاً باتجاه النهوض بالحراك الفني السوري والاستفادة من خبرة هؤلاء ليكون لكل فنان مساهمة في تطور النقابة.

شغل «أسعد فضة» عدة مناصب، حيث كان مديراً للمسرح القومي الذي لا يزال لليوم المسرح الأهم في «سورية» عام ١٩٦٧، وفي عام ١٩٦٨ ترأس «المركز الدولي للمسرح» في «سورية»، وأصبح نقيباً للفنانين السوريين لفترتين مدة كل منهما ٤ سنوات.

تقلد «فضة» منصب مدير المسارح والموسيقا التابعة لـ «وزارة الثقافة»، وتبوأ منصب المدير لأهم ثلاثة مهرجانات سنوية في «سورية» هي «مهرجان المحبة» في «اللاذقية»، مهرجان» بصرى الدولي» في «درعا»، مهرجان «دمشق المسرحي»، كما تم تكريمه عام ٢٠٠٦ بإطلاق اسمه على صالة «المسرح القومي» في «اللاذقية».

العربية وصراع المتوازنات

الحرص على معالجة المسألة اللغوية بموضوعية وواقعية

وائل العدس

صدر حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب ضمن سلسلة «قضايا لغوية» كتيب «العربية وصراع المتوازنات» من تأليف د. محمد عبدو فلفل، يقع في ٩٤ صفحة من القطع المتوسط. في هذا الكتيب ثلاثة مباحث، الأول: العربية من وجهة موضوعية يعالج عوامل ثباتها وانحلالها، والثاني: العربية في مهب السياسة، والثالث: العربية من وجهة يابانية.

الجامع المشترك

إن الجامع المشترك بين ثلاثة البحوث التي يضمها هذا الكتيب هو الحرص على معالجة المسألة اللغوية العربية معالجة تتحلى بالموضوعية والواقعية والتشخيص العلمي بعيداً عن استنفار المشاعر ونسج الآمال التي يوضح الإقرار بالواقع أنها آمال بعيدة، أو متعذرة التحقيق ما لم يتغير كثير من القضايا الحاكمة في واقع الأمة والمتحكمة بمستقبلها.

أول البحوث يدلل على صحة مقولة مفادها أن العربية في مسيرتها التاريخية محكومة بصراع عوامل متناقضة ومتوازنة في الوقت نفسه، عوامل تعمل على ثباتها، وأخرى تعمل على تغييرها أو انحلالها، ونتيجة هذا الصراع حالة من ثبات العربية ثباتاً تاريخياً يدحض مزاعم الاندثار الوشيك للغة الضاد، ولكنه لا يعني في الوقت نفسه أنها حالة تدعو إلى الاطمئنان أو العمل بمقولة إن للبيت رباً يحميه.

أما ثاني البحوث الموسوم فيناقش ما قاله الدكتور عبد السلام المسدي في كتابه «الهوية العربية والأمن اللغوي» عن كون العربية محدداً أساسياً من محددات هوية الأمة، وعن مدى فاعلية صانعي القرار السياسي العربي في الحفاظ على لغة الضاد والنهوض بها.

أما الثالث فيلقي الضوء على موضوعية المستعرب الياباني توشيهيكو إيزوتسو في حديثه عن اللغة العربية عامة، ولاسيما دواعي اختيارها لتكون اللغة التي نزل بها القرآن الكريم.

عوامل الصمود

عدّد مؤلف الكتيب أهم العوامل التي تضمن للعربية الصمود والبقاء فهي أن العربية لغة القرآن الكريم، ومخزونها المعرفي وإرثها الحضاري، ورصيدها البشري، ونضجها وامتلاكها عناصر التجدد والتوليد، ومرجعيتها المعيارية.

أما العوامل الفاعلة في تغيير اللغة العربية أو التي تمثل معوقات لها في مسيرتها الحياتية فهي الإشكالية الحضارية للأمة العربية، وقصور في الوعي اللغوي والإعداد اللغوي، والزحام اللغوي، وقصور في الإملاء العربي.

مكونات الهوية

لا يفتأ الدكتور المسدي يردد أن اللغة العربية عنصر أساسي في هوية الأمة العربية، وفي معرض تحديده مكونات هذه الهوية أوضح أنها ثلاثة هي اللغة العربية والدين الإسلامي والسلالة مضافاً إليها الأرض والتاريخ.

لغة الوحي

في معرض حديثه عن اللغة العربية عالج توشيهيكو مسألة اختيارها لتكون لغة الوحي القرآن، ما يشي بأهميتها لديه، واللافت أيضاً أن معالجته لها كانت موضوعية وظيفية بعيدة عما يعرف بالتحيز اللغوي بقوله: «تقوم النظرة القرآنية إلى هذه المسألة على الوعي الثقافي الواضح جداً، أن كل أمة لها لغتها، وأن العربية لغة العرب، وهي بهذه الوظيفة واحدة فقط من لغات كثيرة، وإذا اختار الله تعالى هذه اللغة فإن ذلك لم يكن بسبب قيمتها الحقيقية من حيث لغة، بل بسبب فائدتها ونفعها، أي بسبب أن الرسالة كانت موجهة أولاً إلى المتكلمين بالعربية، ونرى أن القرآن نفسه يعلن أن هذا الكتاب أنزل بالعربية فقط لتسهيل الفهم «إنّا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون»، ويؤيد القرآن نفسه ما ذهب إليه توشيهيكو بقوله تعالى: «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم».

ويشير توشيهيكو إلى نضج العربية التركيبي وإلى كونها من أهم اللغات الثقافية في العالم فيقول: «إن العربية في ذروة العصر العباسي تغدو لغة ثقافية ومنظمة جداً، إنها إحدى اللغات الأكثر أهمية بين كل اللغات الثقافية في العالم، ولا يكمن ثراؤهما في العدد المذهل للمفردات فقط، بل أولاً وقبل كل شيء في عدد الترابطات المفهومية وتعقيدها، أي المنظومات التي تشكلها فيما بينها، والمعجم الفلسفي واحد منها».

ثريا الحافظ رائدة في الثقافة والنضال

تصدت لنظرة المجتمع إلى المرأة ولم يقتصر دورها على الكلام

أنس تللو

ليس عجيباً أن تلقب ثريا الحافظ بلقب الرائدة الأولى في مجتمع الثقافة والنضال، وأن يبقى اسمها خالداً إلى اليوم... فهي سيدة مثقفة مناضلة حملت لأكثر من نصف قرن أعباءً تعجز عن حملها مؤسسة كاملة.

إنها شخصيةٌ وطنيةٌ فذةٌ تصلح بجدارة فائقة لأن تكون نمطاً يعبر عن ثقافة المرأة في القرن العشرين.

ولدت ثريا الحافظ عام ١٩١١ في دمشق. وذاقت مرارة اليتم وهي في سن الخامسة، وذلك حين أعدم الأتراك والدها الشهيد الأمير أمين لطفي الحافظ مع مجموعة الشهداء العرب في السادس من أيار عام ١٩١٦... فكفلها عمها لتعيش في كنفه وكنف أمها.

تزوجت من الصحفي الشهير (منير الريس) صاحب الكلمة الحرة والرأي الشجاع، وقد درست الحافظ في (دار المعلّمات بدمشق) وحازت الشهادة بتفوق عام ١٩٢٨، وعملت في التدريس مربّية ومديرة بمدارس وزارة التربية، حيث أدت رسالتها بأمانة وإخلاص، ما أكسبها احترام وتقدير كل مَن عرفها في تلك المرحلة.

كانت فترة حياة ثريا الحافظ يشوبها بعض الظلم الذي كان يقع على كاهل بعض النساء في أوائل القرن الماضي، لأنها -أي المرأة- كان يُنظر إليها كعضو ضعيف في المجتمع، وهذا ما أدى إلى حرمانها من الكثير من حقوقها كالتعليم والعمل، واختيار الزوج المناسب، بل لقد كانت تُحرم حتى من حرية التفكير.

وأرادت (الحافظ) أن يكون لها دور كبير في التصدي إلى هذه النظرة الرجعية للمرأة، وأدركت أن الخطوة الأولى لهذا الدور هي ليست بالقاء الخطابات وكتابة المقالات وإعلاء الشعارات، وإنما هي في توعية المرأة بواقعها البائس، ودعم قدرتها وشحذها وتدريبها على تجاوز ما هي فيه من تخلّف وضياع، وفوق ذلك يجب العمل على دعم الوعي الثقافي داخل المجتمع، وذلك للنهوض بالمستوى الاجتماعي والثقافي للمرأة والرجل معاً.

ويبدو أن عمل (الحافظ) في مجال التعليم والإدارة مكّنها من أن تعايش معاناة وضعفَ وعجزَ المرأة في المجتمع الذكوري المتخلّف.

من هنا، ومن خلال هذا الوعي الكبير فقد قامت السيدة ثريا بتشكيل جمعيات تحمل هذا الهدف وتسعى إليه، فكانت (جمعية خرّيجات دار المعلّمات) التي ضمّت عدداً من الوجوه النسائية البارزة آنذاك، وكانت تهدف إلى تعريف المرأة بقدرتها وتمكينها من القيام بواجبها في الحياة والمجتمع... كما أسست الحافظ مع بعض صديقاتها جمعية (دار كفالة الفتاة) التي كرّست جهودها لتكريم بنات الشهداء... وقد كانت السيدة ثريا أماً حقيقية لكل طالباتها في هذه الجمعيات.

وكان نشاطها الإنساني يفيض عن جمعياتها فيرفد نشاطات جمعيات أهلية أخرى تلبية لنداءاتهم مثل جمعية (رعاية الجندي)، و(جمعية الفنون)، و(جمعية نقطة الحليب)، و(جمعية النساء القوميات)، وكانت تسخّر نشاطها لتحقيق أهداف هذه الجمعيات.

لم يقتصر عمل ثريا الحافظ على إنشاء الجمعيات فقط، فقد بدأ نشاطها الاجتماعي منذ كانت طالبة في دار المعلمات، من ذلك أنها شاركت في أول تظاهرة نسائية خرجت تندّد بالانتداب الفرنسي عام ١٩٢٨، كما شاركت في النضال ضد الاحتلال الفرنسي فحملت السلاح وشاركت في العمل العسكري، وكان لها دور كبير في إسعاف الجرحى وتمريض المصابين وفي رعاية أطفال الشهداء.

منتدى سكينة الأدبي

على أن من أعظم وأهم الأعمال التي قامت بها ثريا الحافظ في حياتها هو تأسيس (منتدى سكينة الأدبي) الذي تم إشهاره يوم ٢٦ /١٢/ ١٩٥٣، وقد بلغ هذا المنتدى مكاناً واسعاً من الأهمية، ومما دل على ذلك توافد إعلام الأدب والفن والتاريخ ورجال السياسة لحضور حفل إشهاره؛ من أمثال: الزعيم الشعبي (فخري البارودي) والأديب (فؤاد الشايب) والأمير (مصطفى الشهابي)، والدكتور (عبد الكريم اليافي)، والروائية القديرة (ألفت الإدلبي) والدكتور (سامي الدهان) والروائي الدكتور (عبد السلام العجيلي) وغيرهم.

وعلى الرغم من عداء وتزمت بعض المستنكرين لهذا المنتدى؛ فقد قدم أنشطة ثقافية متنوّعة: محاضرات وندوات أدبية وتاريخية، شارك في هذه الأمسيات أعلام الأدباء والشعراء في المشرق والمغرب.

وكان من نشاطات المنتدى أنه خصص أياماً للاحتفال بذكرى المناسبات الوطنية والثقافية القديمة مثل ذكرى يوم الجلاء، وذكرى يوم الوحدة بين سورية ومصر، وذكرى يوم الجيش، وغيرها...

لقد كان لهذا المنتدى- والحق يقال- دور كبير في تأجيج النشاط الثقافي والاجتماعي في سورية، وفي توطيد علاقات الأخوة والتعاون.

خلّفت ثريا الحافظ فوق إرثها الأدبي والثقافي والاجتماعي العظيم مؤلفات أدبية أغنت المكتبة العربية منها كتاب (الحافظيات) وهو يتضمن مقالات من مسيرة حياة الكاتبة نفسها، وكتاب (حدث ذات يوم) الشبيه بسابقه فهو عبارة عن قصص مأخوذة من حياتها.

قضت ثريا الحافظ السنوات الأخيرة من عمرها في التنقّل بين دمشق والعديد من دول العالم، حتى رحيلها في عام ٢٠٠٠، بعد مسيرة دامت أكثر من نصف قرن.